

تحليل الآية (١٦) من سورة مريم

وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (١٦)

جُمْلَةُ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ

عَطْفٌ عَلَى جُمْلَةٍ ذَكَرَ رَحْمَتَ رَبِّكَ [مَرْيَمَ: ٢] عَطَفَ الْقِصَّةَ عَلَى الْقِصَّةِ فَلَا يُرَاعَى حُسْنُ اتِّحَادِ الْجُمْلَتَيْنِ فِي الْحَبَرِيَّةِ وَالْإِنْشَائِيَّةِ، عَلَى أَنَّ ذَلِكَ الْإِتِّحَادَ لَيْسَ بِمُلْتَزِمٍ. عَلَى أَنَّكَ عَلِمْتَ أَنَّ الْأَحْسَنَ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ ذَكَرَ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِيَّا مَصْدَرًا وَقَعَ بَدَلًا مِنْ فِعْلِهِ.

وَالْمُرَادُ بِالذِّكْرِ: التَّلَاوُّهُ، أَيْ اتْلُ خَبَرَ مَرْيَمَ الَّذِي نَقَضَهُ عَلَيْكَ.

وَفِي افْتِتَاحِ الْقِصَّةِ بِهَذَا زِيَادَةُ اهْتِمَامٍ بِهَا وَتَشْوِيقٍ لِلْسَّامِعِ أَنْ يَتَعَرَّفَهَا وَيَتَدَبَّرَهَا.

وَالْكِتَابُ: الْقُرْآنُ، لِأَنَّ هَذِهِ الْقِصَّةَ مِنْ جُمْلَةِ الْقُرْآنِ. وَقَدْ اخْتَصَّتْ هَذِهِ السُّورَةُ بِزِيَادَةِ كَلِمَةٍ فِي الْكِتَابِ بَعْدَ كَلِمَةِ وَأَذْكُرُ .

وَفَائِدُهُ ذَلِكَ التَّنْبِيهُ إِلَى أَنَّ ذِكْرَ مَنْ أَمَرَ بِذِكْرِهِمْ كَائِنْ بِآيَاتِ الْقُرْآنِ وَلَيْسَ مُجَرَّدَ ذِكْرِ فَضْلِهِ فِي كَلَامٍ آخَرَ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَقَوْلِهِ: «لَوْ لَبِثْتُ مَا لَبِثَ يُوسُفُ فِي السِّجْنِ لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ»

. وَلَمْ يَأْتِ مِثْلُ هَذِهِ الْجُمْلَةِ فِي سُورَةٍ أُخْرَى لِأَنَّهُ قَدْ حَصَلَ عِلْمُ الْمُرَادِ فِي هَذِهِ السُّورَةِ فَعُلِمَ أَنَّهُ الْمُرَادُ فِي بَقِيَّةِ الْآيَاتِ الَّتِي جَاءَ فِيهَا لَفْظُ أَذْكُرُ. وَلَعَلَّ سُورَةَ مَرْيَمَ هِيَ أَوَّلُ سُورَةٍ أَتَى فِيهَا لَفْظُ وَأَذْكُرُ فِي قَصَصِ الْأَنْبِيَاءِ فَإِنَّهَا السُّورَةُ الرَّابِعَةُ وَالْأَرْبَعُونَ فِي عَدَدِ نُزُولِ السُّورِ.

واذكر الواو استئنافية ، واذكر: فعل أمر وفاعل مستتر تقديره أنت ، وفي الكتاب جار ومجرور متعلقان باذكر ومريم مفعول به .

وَإِذْ : ظَرْفٌ مُتَعَلِّقٌ بِ أَذْكُرُ ، بِاعْتِبَارِ تَضَمُّنِهِ مَعْنَى الْقِصَّةِ وَالْحَبَرِ ، وَلَيْسَ مُتَعَلِّقًا بِهِ فِي ظَاهِرٍ مَعْنَاهُ لِعَدَمِ صِحَّةِ الْمَعْنَى ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ (إِذْ) مُجَرَّدَ اسْمِ زَمَانٍ غَيْرِ ظَرْفٍ وَيُجْعَلُ بَدَلًا مِنْ (مَرْيَمَ) ، أَيْ أَذْكُرُ زَمَنَ انْتِبَازِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا. وَقَدْ تَقَدَّمَ مِثْلُهُ فِي قَوْلِهِ ذَكَرَ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ [مَرْيَمَ: ٢، ٣] .

وورد في بعض كتب إعراب القرآن : في إذ أوجه أحدها أنها منصوبة باذكر على أنها خرجت عن الظرفية إذ يستحيل أن تكون باقية على مضيها والعامل فيها ما هو نص في الاستقبال والثاني أنها منصوبة بمحذوف مضاف لمريم تقديره واذكر خبر مريم أو نبأها إذ انتبذت فإذا منصوبة بذلك الخبر أو النبأ، الثالث أنها بدل من مريم بدل اشتمال قال الزمخشري: لأن الأحيان مشتملة على ما فيها لأن المقصود بذكر مريم ذكر وقتها لوقوع هذه القصة العجيبة فيه» وجملة انتبذت مضافة إلى إذ ومن أهلها حال ومكانا ظرف متعلق بانتبذت أي في مكان وشرقيا نعت ويجوز أن يعرب مكانا مفعولا به على أن معنى انتبذت أتت .

وَالْإِنْتِبَازُ: الْإِنْفِرَادُ وَالْإِعْتِزَالُ، لِأَنَّ النَّبَذَ: الْإِبْعَادَ وَالطَّرْحَ، فَالْإِنْتِبَازُ فِي الْأَصْلِ افْتِعَالٌ مُطَاوِعٌ نَبَذَهُ، ثُمَّ أُطْلِقَ عَلَى الْفِعْلِ الْحَاصِلِ بِدُونِ سَبْقِ فَاعِلٍ لَهُ. وَانْتَصَبَ مَكَانًا عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ انْتَبَذْتُ لِتَضَمُّنِهِ مَعْنَى حَلَّتْ. وَيجوزُ نَصْبُهُ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ لِمَا فِيهِ مِنَ الْإِبْهَامِ. وَالْمَعْنَى: ابْتَعَدْتُ عَنْ أَهْلِهَا فِي مَكَانٍ شَرْقِيٍّ.

وَنُكِرَ الْمَكَانُ إِبْهَامًا لَهُ لِعَدَمِ تَعَلُّقِ الْعَرَضِ بِتَعْيِينِ نَوْعِهِ إِذْ لَا يُفِيدُ كَمَالًا فِي الْمَقْصُودِ مِنَ الْقِصَّةِ. وَأَمَّا التَّصَدِّي لَوْضُفِهِ بِأَنَّهُ شَرْقِيٌّ فَلِلتَّنْبِيهِ عَلَى أَصْلِ اتِّخَاذِ النَّصَارَى الشَّرْقَ قِبْلَةً لِصَلَوَاتِهِمْ إِذْ كَانَ حَمْلُ مَرْتَمٍ بَعِيسَى فِي مَكَانٍ مِنْ جِهَةِ مَشْرِقِ الشَّمْسِ. كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ خَلْقَ اللَّهِ لِأَيِّ شَيْءٍ اتَّخَذَتِ النَّصَارَى الشَّرْقَ قِبْلَةً لِقَوْلِهِ تَعَالَى: مَكَانًا شَرْقِيًّا»، أَيُّ أَنَّ ذَلِكَ الْإِسْتِقْبَالَ لَيْسَ بِأَمْرٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى. فَذِكْرُ كَوْنِ الْمَكَانِ شَرْقِيًّا نُكْنَةً بَدِيعَةً مِنْ تَارِيخِ الشَّرَائِعِ مَعَ مَا فِيهِ مِنْ مُوَاخَاةِ الْفَوَاصِلِ.